

ترتيب حروف الهجاء

بحث على تاريخي

للاستاذ حسن عبد الجواد المحامي

يقرأ المبتدئ حروفاً يحفظها مرتبة عن ظهر قلب ترتيباً يلاحظ معه نعمة يرتاج إليها سمعه ، لأن الحروف قد كونت جماعات متشابهة أحرف كل منها ، فأذا بدأ ينطق حرفاً تلاه حرف آخر أو أكثر لا يختلف عنه كثيراً ، فأن هو قال (صاد) قال بعدها (ضاد) وإن قال (باء) أردفها (بتاء) ثم (ثاء) وهكذا حتى يقول (ياء) وإذا نحن ألقينا نظرة على لوح طفل صغير مبتدئ رأينا معلمه قد قسم له الأحرف الهجائية تقسيماً يراعى معه هذا النظام ، فيكتب له في اللوح الأول (ا . ب . ت . ث) وفي اللوح الثاني (ج . ح . خ) وفي اللوح الثالث (د . ذ . ز) وفي الرابع (س . ش . ص . ض) وهكذا حتى ينتهي إلى (ي)

ولكن هذا الترتيب الذي تألفه اليوم ، لم يكن هو بعينه الذي قام قديماً ، بل كان هناك ترتيب آخر لا يزال قائماً بجانب الترتيب المألوف هو (أبجد . هوز . حطي . كلمن . سغفص . قرشت . ثخذ . ضظغ)

وهناك ترتيب ثالث راعى واضعوه مخارج الحروف وستتكلم عليه تفصيلاً مع الترتيبين السابقين : —

الترتيب الأول : — ترتيب أبجد هوز ... الخ ، وعلينا قبل التكلم عن معنى هذه الألفاظ أن نذكر أنها خلقت (كما قال حفي بك ناصف) في عهد السريانيين والعبرانيين وغيرهم من الأمم السامية

أما معنى هذه الألفاظ فمختلف فيه إلى حد كبير إذ قال جماعة — من بينهم هاشم الكلبي — إنها أسماء لأشخاص من العرب العاربة — محرقة قليلا ، وهم أبو جاد . وهواز ، وكلون ، وسعفص ، وقريشات . وعلى أسمائهم وضعت الحروف الهجائية

ولكن لما كانت هناك حروف خارجة عن مجموع الحروف التي تكون تلك الأسماء، لم يهتم العلماء أمرها، بل جمعوها جماعة خاصة وسموها الروادف وهي (الثاء والحاء والذال، والظاء، والشين، والغين



(صورة الأستاذ حسن عبد الجواد)

ولذلك نراهم قد حوروا في الاسماء قليلا حتى جاءت مشتملة على حروف الروادف الستة ولذلك أصبحت (أبجد . هوز . حطى . كلمن . سعفص . قرشت . ثخذ . ضظغ) بدلا من (أبجاذ وهواز وكلمون وصعقص وقرشيات) وذكر بعضهم أن هذه الأسماء كانت لملوك هلكوا في زمن شعيب عليه السلام واستدل بعضهم على صحة روايتهم بقصيدة رثائية قالتها أخت أحدهم وهو (كلمون) جاء فيها

(كلمون) هدركنى هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الشـخف ناو وسط ظله
جعلت نارا عليهم وأراهم كالمضمحل

وأنكر علما العصر الحاضر أن هذه الألفاظ أسماء لأشخاص ولذلك نرى
 أستاذنا الكبير حفى بك ناصف يقول إنها ألفاظ لم يقصدها إلا جمع الحروف
 فى كلمات سهلة الحفظ وليست أسماء أشخاص كما قيل
 وإنتى أرى أن الظاهر يؤيده فى رأيه خصوصا وأن من قال بالرأى الآخر
 لم يدل بسند يصح أن يرتكز عليه ولو كان قولهم صحيحا لقالوا أبجد....
 كلمون.... الخ بدلا من قولهم أبجد.... كلمن.... الخ
 الترتيب الثانى :- تحرى فيه واضعوه - كما سلف قلناه - بخارج الحروف
 ابتداء من الصدر إلى الشفتين . (راجع تاريخ الأدب لحفى بك ص ٣٥
 وما بعدها)

وهذا أساس صالح لترتيب الحروف وضعه ثلاثة من كبار العلماء
 هم الخليل (فى كتاب العين) وسيمويه وابن سيدة (فى المحكم) وإن اختلف
 ترتيب كل من هؤلاء الثلاثة عن ترتيب زميله إلا أن خلاصة ترتيباتهم هكذا :
 (اوى . حروف المد - هـ ع ح غ خ ق ك ج ش ي ض ل ر ن ط د ت ص
 س ز ظ ذ ث ف ب م و)

الترتيب الحديث ... اب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع
 غ ف ق ك ل م ن ه وى .

هو الترتيب الذى تألفه والذى اعتبره أصحاب الصحاح ، والقاموس ولسان
 العرب وجاء به نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر فى عهد عبد الملك بن مروان (راجع
 انتشار الخط العربى ص ٢٤ وأساس ماجاء فيه فى كتاب حياة اللغة العربية
 ص ٣٧) .

جاء هذا الترتيب جامعا الحروف المتشابهة معا ، فالباء بعدها تاء ثم ثاء
 والطاء بعدها ظاء والعين بعدها غين وهكذا كما سبق بيناه فى صدر هذا البحث
 ولكننا إذا وقفنا البحث خرجت حروف من غير شريك كالآلف مثلا
 إذا لماذا هم جاءوا بها فى مكانها ؟ وهل لذلك من أساس ؟

عللوا الأمر بأسباب ما كانوا ليهملوا فيها فضل الترتيب الأول
 السبب الأول : بدىء بالآلف لأنها أول أحرف أبجد
 السبب الثانى : الهاء آخرت للأتیان بها مع أحرف العلة لأنها تشبهها
 السبب الثالث : الزاى وضعوها فى مكانها مع أحرف الصغير
 السبب الرابع : الكاف واللام والميم والنون أتت متعاقبة لأنها أحرف
 (كلمن) الواردة فى الترتيب الأول

وإذا نحن قلنا لهم لماذا وضعتم جماعة الجيم والحاء والحاء قبل جماعة الدال
 والذال ؟ قالوا لأن الجماعة الأولى أولها جيم والثانية أولها دال والجيم قبل الدال
 فى أحرف أبجد .

أما ترى أنهم احترموا — إلى حد كبير — الترتيب الأول ؟
 وأرى فى النهاية أن الترتيب الحالى هو وليد ظروف لا يعلمها أحد وأنه ترتيب
 تاريخى طبيعى ليس ليد زيد أو عمرو دخل فى أحكامه أو فضل فى وضعه وأختم
 تلك الكلمة بملاحظة لها أهميتها

هى أنه ورد فى كتاب الله الكريم آية تجمع الحروف الهجائية من أولها
 الى آخرها وهى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
 تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر
 السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره
 فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما »

فإذا نحن قششنا فى تلك الآية أخرجنا جميع الحروف الهجائية كاملة ولكنها
 غير مرتبة حسب أحد الترتيبات الثلاثة التى أوردناها .

وإننا لانعرف السر فى ذلك ولكننا نستنتج منها بلاغة عظيمة نشاهدها فى كل
 آية من آيات القرآن الكريم فبارك الله أحكم الحاكمين ؟